

الاتجاهات والنظريات المفسرة للوعي الاجتماعي (دراسة نظرية)

محمود الله ولد بيرامه السالك*

مقدمة

لقد تنوع استخدام مفهوم الوعي عبر مراحل تطور المجتمعات البشرية التاريخي، وتناول معظم الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع هذا المفهوم من قديم الزمان وإلى الآن من خلال وجهات واتجاهات نظرية مختلفة. وحاول كل منهم تدعيم وجهة نظره بالنظرية التي يؤمن بها أو تأثره بالأفكار والمعتقدات السائدة في عصره، مما أدى إلى ظهور العديد من الاتجاهات والآراء المتباينة حول مفهوم الوعي¹.

واستخدم مصطلح الوعي على نطاق واسع ليبدل على أية حالة عقلية ولا يعبر فقط عن الدلالية بالحالات، بل يحدد للأفراد ما يلاحظونه من عدمه. وتستخدم كلمة الوعي بمعان مختلفة، وبالرجوع إلى أصلها في اللاتينية نجد أنها تعني أشياء معروفة على نحو متصل، بالإضافة إلى أن بعضاً من الناس ينسبون الوعي إلى المعرفة، لأن عديداً من الأشياء عرفت في وقت واحد. وقد اصطلح على الكلمة في اللاتينية بالمعرفة الذاتية أو للمعرفة التامة التي يساهم بها للفرد. وأول من تبنى الكلمة في الإنجليزية هو "فرنسيس بيكون" سنة 1610م، وتحدث عنها القيصر الإمبراطوري

* - أستاذ باحث بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

¹ - النموسي عبده إبراهيم، التغيير الاجتماعي والوعي الطبقي (تحليل نظري)، دار الفواء لعنبا
الطبعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 82-83.

"أغسطس" في حديثه عن الوعي بالذات. وفي بداية القرن 19 بدأ علم النفس يظهر على أنه فرع متخصص في العلم الطبيعي، وتحدد اسمه صراحة على أنه "علم الوعي" وعندما جاء "وليم جيمس" استعار التسمية من علم النفس، حيث يتكون الوعي من للتصورات الحسية والعقلية، والتفكير والرغبات، والعواطف، والاختيارات بالإضافة إلى الخبرات التي يمر بها الإنسان في أي وقت¹.

ويعتبر "جون لوك" هو أول من استخدم كلمة الوعي نظرياً، في مناقشاته الفلسفية، حين قال: "هم يقولون دائماً إن الإنسان يعي بذاته ما يفكر"².

ويفسر الوعي في ضوء فهم الحالة كما هي في داخل عقل الإنسان. وحدد الوعي بأنه إدراك ما يخطر بعقل الإنسان، وهو انعكاس لملاحظات الشخص، أو لملاحظة عقله للعمليات المتداخلة. ومن صور الوعي الأفكار المدركة والتفكير، والشكوك والمسببات والمعرفة وتعلم القضايا الذهنية في أي وقت، وهذه العمليات كافية لأن يطلق عليها "الإحساس الداخلي". وليس المقصود بفكرة الوعي وصف مصطلح للإشارة إلى للتوجيه الشخصي تجاه موقف اجتماعي، ولا هي حالة هامشية يمكن أن تكون جزءاً من خبرات الفرد، إنما هي طريقة لتحديد بناء يقصد به فكرة محورية تقوم بمحاولة إقامة وحدة أساسية بين تحليلات المواقف الاجتماعية ومعرفة الآراء والاتجاهات وقد ثبت بالدراسة التناقض بين هذين المظهرين الأساسيين لفكرة الوعي، ولم تعد أهمية المعرفة الاجتماعية تركز على الدين والدولة أو القوانين

¹ - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.ن، ص 67- 68.

² - طه نجم، علم اجتماع المعرفة : دراسة في مقولة الوعي والايديولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 83.

الاقتصادية لكنها أصبحت تقوم على فهم المجتمع باعتباره نسقاً للسلوك، فوعي العمال والموظفين والمديرين أو أي فئة أخرى يقدم لنا البرهان. فالوعي هو شكل عال من انعكاس الواقع الموضوعي الذي يرثه الإنسان بمفرده، وهو المجموع الكلي للعمليات العقلية، والأنشطة التي يشارك بها في فهم العالم الواقعي، واحتياجاته الشخصية، ويضع الوعي في اعتباره، والنشاط الاجتماعي والاقتصادي للناس. ويرتبط مباشرة بظهور اللغة، فهي قديمة قدم الوعي، واللغة التي يمارسها الإنسان لها تأثير هائل على تطور الوعي. وتلعب دوراً في تشكيل فكر نظري منطقي لدى الإنسان في عمليات العمل، وفي العلاقات الاجتماعية التي يمر بها الفرد مع الآخرين، فمن خلالها يصبح الإنسان قادراً على كشف أولويات الأهداف، ويدرك علاقته بالبيئة، لذلك يعد الوعي نتاجاً للتطور الاجتماعي ولا يوجد بعيداً عن المجتمع¹.

ولتحديد مفهوم الوعي الاجتماعي، فإن هذه الدراسة ستصف وتحلل هذا المفهوم في إطار تحليلي مقارن للاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع. إن الهدف الذي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه يتجسد في وصف وتحليل الوعي الاجتماعي في إطار مقارن يأخذ في الاعتبار مستويات الوعي وأشكاله الأساسية والثانوية. ويقودنا الحديث عن هدف هذه الدراسة إلى الحديث عن المنهجية المتبعة.

منهجية الدراسة

إن للدراسات العلمية الجادة تعالج إشكالية أو إشكاليات تتعلق بظاهرة أو ظواهر تلفت انتباه الباحثين والمتخصصين في مجالات المعرفة المختلفة. ويلاحظ منذ البداية أن مفهوم الوعي الاجتماعي يحظى باهتمام الباحثين في العديد من

¹ - نفس المرجع ، ص 85.

مجالات المعرفة في إطار العلوم الاجتماعية خاصة علم لاجتماع المعرفة.
وتتمثل الإشكالية التي تبحث فيها هذه الدراسة في السؤال التالي: ما مدى الاختلاف والاتفاق حول تفسير الوعي الاجتماعي لدى الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع ؟ إن الإجابة المؤقتة عن هذا السؤال تقودنا إلى الحديث عن فرضية هذه الدراسة، وهي فرضية يمكن صياغتها في العبارة التالية: "إن الوعي الاجتماعي الذي يسود في أي مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة هو نتاج لعوامل بنائية أوجدتها ظروف وتجارب المجتمع الثقافية والاقتصادية والسياسية التي شهدها المجتمع عبر فترات تاريخية متعاقبة. وإن تشابه أو اختلاف الاتجاهات المفسرة للوعي الاجتماعي سببه تشابه أو اختلاف البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي ينتمي إليها العلماء والمفكرون الذين فسروا الوعي الاجتماعي".

ولإثبات مصداقية الفرضية المثارة، سنتعرض لمدى تمشي أو عدم تمشي البيئة (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية)، من خلال الاتجاهات والنظريات المفسرة للوعي الاجتماعي.

ومادام هدف هذه الدراسة يتمثل في الوصف والتحليل في إطار وصفي تحليلي مقارن يأخذ في الحسبان مستويات الوعي وأشكاله الأساسية والثانوية والمقاربات النظرية. فإنه سيتم استخدام مناهج البحث الوصفية والتحليلية والمقارنة حتى يمكن الإلمام بالوعي الاجتماعي من مختلف جوانبه.

أما فيما يتعلق بمصادر هذه الدراسة فإنها تعتمد على الأدبيات ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

ولكي يتم تحقيق هدف هذه الدراسة المتمثل في وصف وتحليل الوعي الاجتماعي في إطار وصفي تحليلي مقارن يأخذ في الاعتبار البعد للنظري، فإنه سيتم تقسيمها إلى: مقدمة، وثلاثة محاور رئيسية (المحور الأول منها تحدث عن

البنائية الوظيفية ومحاولة تفسيرها للوعي الاجتماعي، أما المحور الثاني فقد أنصب على الماركسية (الكلاسيكية)، ومحاولة تفسيرها للوعي الاجتماعي. بينما تناول المحور الثالث الاتجاه النقدي ومحاولة تفسيره للوعي الاجتماعي، هذا فضلاً عن الخاتمة.

1- البنائية الوظيفية ومحاولة تفسيرها للوعي:

حاول الموظفون تحديد مستوى الوعي الاجتماعي على الرغم من اعتبارهم للمساءلة برمتها إحدى القضايا الرئيسة في الاتجاه الماركسي والراديكالي بوجه عام.

إن الاتجاه الوظيفي يستند على ذاتية الوعي باعتباره مجموعة من الصور تسمى أفكاراً، فالرمز كلمة إلا أن مدلولها السوسيولوجي تتم صياغته من خلال المجتمع بثقافته الكلية. فقد ركز الموظفون على الوعي الفردي متأثرين في ذلك بتحليلات ذات طابع سيكولوجي إلى حد كبير... فالوعي هنا يعد عملية ذاتية عقلية بحثية يتم اكتسابها من جانب الفرد عن طريق عمليات التفاعل والمشاركة والتساند الوظيفي بين الأنساق المختلفة والمتداخلة في نفس الوقت. ويمكن التأكيد على أن التعريفات التي قدمتها الآراء الوظيفية، قد ركزت على أهمية العامل الذاتي في عملية التفاعل وصياغة العلاقات الاجتماعية، ويتجلى ذلك في تأكيداتهم على صعوبة التحرر من القيم، ويمكن التأكيد أيضاً على أن الرؤية الوظيفية للوعي الاجتماعي قد ارتبطت بالشعور إلى حد كبير¹.

1- شكري عبد المجيد صابر، وموسى عبد الرحيم حسن، الوعي الاجتماعي العربي والفلسطيني (تحليل سوسيولوجي في ضوء مفاهيم وقضايا علم اجتماع المعرفة)، مكتبة ومطبعة دار المنارة، غزة، 2003، ص 108 - 109.

لقد جعلت الوظيفية للوعي مسألة ذاتية فردية، واختزلت في ذلك العالم الخارجي إلى مجرد إطار يمثل مدركات الفرد نفسه، فالفرد هنا يقوم بمجموعة أفعال تتم عن ازدواجية من التركيب والتحليل عن طريق ارتباطه عضوياً بحركة التاريخ والدرجة التي وصل إليها مجتمعه، واتخذ الوظيفيون في ذلك اللغة نموذجاً باعتبارها مخزوناً تاريخياً يتم من خلالها تعلم الأخطاء والأوهام والتصورات ويساهم فيها للفرد فقط من خلال إمكاناته الفسيولوجية التي تحدد اختياراته السلوكية دون إمكان تغييرها بصورة جذرية. إن الاتجاه البنائي الوظيفي يستند في تحديده لمعنى الوعي الاجتماعي على الروحية ومقولات علم الحياة التي تتصل بفكرة التوازن والتكامل، فالوعي هنا بصفة عامة، هو بمثابة مجموعة الأفكار الذاتية المتباينة - وليست المتناقضة - التي تتضح من خلال التلقائية كنزعة فطرية والتي يمكن رصدها وتشخيصها في تباين الأدوار، وتداخلها وأيضاً الأفعال التي تؤدي إلى وجود نوع من التضامن الوظيفي، القائم على المنفعة العامة للنسق الكلي¹.

وفيما يلي عرض لأراء بعض مفكري هذا الاتجاه:

أ- "أميل دوركايم": تحدث عن الإشتراطية الاجتماعية للوعي، وعن تبعية مقولة الوعي الاجتماعي للتنظيم الفئوي، وللبنية الاجتماعية للمجتمع. ولكنه يفهمها بطريقة ميكانيكية كبنية نابعة من علاقة الزمان بالمكان، تعتبر الأفكار - من وجهة نظره - أساس تطور المجتمع ومؤسساته، وتوجد الظواهر الاجتماعية عبر الأفكار ومن الأفكار. وتحدث عما اسماه بـ "الضمير الجمعي" أو "الوعي الجمعي"، حيث يرى أنه يعيش بين الأفراد، ويدعم الروابط بين الأجيال. وإذا كان "ماركس" يرى أن لكل طبقة وعيها، مما يؤدي

1- نفس المرجع ، ص 104 .

إلى ظهور الصراع الطبقي بين الطبقات. فإن "دوركايم" في مقابل ذلك يرى في الضمير الجمعي نتاجاً معاصراً مشتركاً لكافة شرائح المجتمع الموجودة، إلى جانب مجتمع الماضي، وذلك بعد المرور بمرحلة التفاعل، شريطة أن يشكل هذا الضمير تضامناً ألياً، إذا كانت أجزاؤه متماثلة، ومتضامناً عضوياً إذا كانت أجزاؤه متباينة¹.

وقد اعتبر "الوعي الاجتماعي" هو المصدر الحقيقي لعقلانية سلوك الإنسان حيث تتحدد العقلانية عنده بالنظر أساساً إلى الضمير الجمعي باعتباره يحدد القواعد المنظمة للسلوك الظاهري، بالإضافة إلى تشكيل غايات السلوك، والتي تشكل جوهر للشخصية الفردية. ويذهب "دوركايم" إلى أنه إذا كان نسق للقيم هو المحدد لعقلانية السلوك في الواقع، فإن القيم الدينية هي التي تحدد عقلانية هذا السلوك في إطار للعالم غير الواقعي. ويقول: "إن السلوك مفروض من الخارج، فعلى الفرد أن ينجزه، فهو مفروض من قبل الضمير الجمعي"².

كما أشار إلى الدور المهم الذي يلعبه المجتمع عن طريق التربية وتحديد للمعايير الاجتماعية اللازمة في تحديد نوعية وأشكال الوعي المطلوب في مرحلة من المراحل كما أكد في نفس الوقت الدور الأخلاقي للوعي... سواء في التكوين أو للوظيفة الاجتماعية النهائية.

إن الوعي من وجهة نظره لا يعتبر شيئاً منفصلاً عن الديناميات والآليات المجتمعية الحاكمة، وقد أكد على الدور الذي يلعبه الدين خاصة في المجتمعات البدائية في بلورة أشكال محددة من الوعي. وقد حاول إثبات

¹ - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 115 - 116 .

² - علي ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط 1983، ص 515 -

العلاقة بين الوعي وعناصر البناء الفوقي بالمعنى الماركسي وأن العوامل الاقتصادية ليست هي العوامل الوحيدة التي تفرض شكلاً من أشكال الوعي وإن كان في نفس الوقت لم ينكر العوامل الاجتماعية اللامعيارية وتأثيرها في الانتماء كرفض الأفكار السائدة¹.

و نظر إلى الضمير الجمعي أو الوعي الجمعي كمقابل لمفهوم الوعي الاجتماعي عند "ماركس"، حيث ربط "دوركايم" الضمير الجمعي بالمثاليات الاجتماعية. واعتقد أن المثاليات الاجتماعية هي التي تشكل الضمير الجمعي، ويحافظ الأخير على الأفراد في ارتباطهم به. ويطابق تصور "دوركايم" القائل بأن الوعي الجمعي أو الضمير الجمعي يعكس واقعاً اجتماعياً، مقولة "ماركس" الشهيرة التي مفادها أن تغير الوجود الاجتماعي للناس هو الذي يحدد وعيهم².

ب- "ماكس فيبر": يرى "فيبر" أيضاً عدم أهمية ربط العمليات الذهنية بالقاعدة المادية ويستدل بأن السبب للمادي يقود ويؤدي إلى نتيجة مادية، ولا يمكن أن تكون نتيجته قيمية. والقيمة هي محصلة بعض التفاعلات المعنوية التي يمكن أن يضيفها الفرد على الوقائع المعينة التي تمر أمام عينيه. ومن المعروف أن ذلك يتم بصورة اختيارية، ثم إن للصور الذهنية التي تشكلها الظروف، تأتي في العادة مطابقة لتلك للظروف أمام الأحكام القيمية، فهي التي تكيف للظروف لتحكم عليها عما إذا كانت إيجابية أم سلبية³.

كما ربط بين البروتستانتية وصياغة وعي محدد إلا أن الوعي لم

¹- شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 97.

²- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 142- 143.

³- عبد الرحمن خليفة، إيديولوجية الصراع السياسي: دراسة في نظرية القوة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 130.

يكن بتلك البساطة في فكره حيث لم ينكر الدور المهم الذي تلعبه عوامل ثقافية أخرى، فبالعوامل الدينية مثلاً تنفصل عن نظيراتها الاقتصادية بشكل تام في تأثير كل منهما على بلورة الوعي الاجتماعي. كما قام بالربط بين السلطة وأنماطها (السلطة الكاريزمية، السلطة العقلانية)، وإمكانية الوصول إلى شكل ما من الوعي دون آخر. فالنظام السياسي ووضع القيادة ومكانتها تلعب الدور الأساسي في سيادة بعض الأفكار ونفي أفكار أخرى. وقد ساهم "قيير" في توضيح الدور الذي يلعبه التنظيم في تشكيل الوعي الاجتماعي. فالبيروقراطية تؤدي إلى ثبات وجمود للوعي ونوعيته في أحيان كثيرة في ضوء المكانة والتسلسل الفكري وتقسيم العمل الآتي بفعل التحضر والتصنيع يؤدي إلى انقسام الوعي الاجتماعي ويجعله أكثر طبقية بالمعنى الماركسي الكلاسيكي¹.

ج- "هتريم سوروكين": أرجع "سوروكين" الأساس الواقعي للوعي بصورة رئيسية إلى شروط ثقافية - اجتماعية، واهتم بتحليل تبعية المعرفة للشروط الثقافية².

2- الماركسية (الكلاسيكية) ومحاولة تفسيرها للوعي:

انطلق الماركسيون من مسلمة أساسية تتلخص في أن كل نوع لو شكل من المعرفة لا يمكن تفسيره إلا من خلال ربطه بالبنية الاقتصادية التي يتواجد فيها، ويؤكدون على أن كل التصورات ترتبط بواقع البشر - خاصة في تكويناتهم الطبقيّة - المادي لأنهم منتجوها الوحيدون³.

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 97-98.

² - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 115.

³ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 117.

كارل ماركس: إن الوعي الاجتماعي كمقولة واصطلاح ومسألة مهمة وإطار محوري في علم الاجتماع قد جاء بصورة مباشرة في فكر "ماركس" الذي ربط الوعي بالإيديولوجيا ربطاً وثيقاً حيث أكد على أن الإيديولوجيا ليست دراسة الأفكار بل هي الوعي الزائف الناجم عن الأبعاد الاقتصادية الآتية بفعل سيطرة الأشياء تلك العملية التي أطلق عليها التشيؤ، والمقصود بها إدراك العالم الخارجي باعتباره مجموعة من الأشياء الموضوعية الخارجة عن نطاق التحكم والسيطرة الإنسانية بمعنى آخر أثبت "ماركس" أن كل نوع من أنواع المعرفة وكل شكل من أشكال الوعي الاجتماعي لا يمكن تفسيره أو تحليله إلا من خلال ربطه بالبنية الاقتصادية التي يتولد فيها، واستند في ذلك على التفسير المادي للتاريخ وما ميز كل مرحلة إنتاجية من أفكار تتداخل لفترة ثم تتبلور في النهاية لممارسة اللاوعي بدرجة أو بأخرى، حيث ترتبط كل التصورات بواقع البشر المادي باعتبارهم هم القوى الإنتاجية الوحيدة والفاعلة، ويمكن التأكيد هنا على أن "ماركس" قد ركز على الوجه المحجوب من الوعي على مستوى الجماعة موضعاً أهمية البحث عن حقيقة الجزء المكبوت من الشخصية والذي لم يعد يعبر عن نفسه بوضوح لكنه ينبني في اللاوعي، وهذه المقولات هي التي دفعته إلى مناقشة الوعي الفردي مقابل الوعي الجماهيري كمستويات متنوعة من الوعي. كما أوصلته إلى الاغتراب بالمعنى النفسي حيث تتشابه وجهة نظره مع وجهة نظر "سيجموند فرويد" الذي يرى أن الوعي تكوين نفسي ومنطقي وتوافق مع نمط معين من البيئة ترتبط به الطاقة العقلية من خلال الرموز اللفظية ونقيضه اللاوعي أو ما اسماه "ماركس" بالوعي الزائف. ومع أنه قد جعل المادة سابقة على الفكر وبالتالي الوجود سابق على الوعي إلا أنه لم يجعل العلاقة خطية أو مفردة حيث لم ينكر في نفس الوقت الدور الذي تلعبه الأفكار في صياغة وتغيير

المادة من خلال التأثير والتأثر¹.

ويظهر الوعي الزائف عنده ليقصد به مجموعة من المعتقدات الخاطئة عن حالات مهمة لنا، ويشارك فيها كل الأشخاص، بل المجتمع المحلي كله. والوعي للزائف هو شامل عام، يمتد ليشمل للتأثيرات الاجتماعية، ويتكون من عدد مترابط من الأوهام المشتركة بين الأشخاص أو تقريباً الذين لهم موقف أو لهم نفس الدور في المجتمع. واعتبر "ماركس" أفكار البرجوازية عن الدولة هي خير مثال يعبر عن الوعي الزائف. ويبين لنا أنه إذا كانت الدولة تفضل مصالحنا، فسوف توجد معتقدات زائفة، وتكون أكثر أو أقل اتفاقاً، مع مصالحنا المفضلة. وعلى سبيل المثال، سوف ندرك أن التفضيلات العامة للدولة هي تفضيلات السلطة لنا، لكن في الحقيقة طبقاً لآرائه، تفضل الدولة مصالح طبقة واحدة هي الطبقة المسيطرة على الطبقات الأخرى².

إن الدولة بالفعل تحاول أن تغرس في عقول المواطنين أن مصالح السلطة الحاكمة هي نفسها مصالح للدولة، إلا أن الحقيقة غير ذلك تماماً. فمصلحة السلطة ترتبط دائماً بنفوذ ومصالح طبقات معينة في المجتمع، تعمل السلطة على إرضائها، وتوفيق أوضاعها، ولم يقصر "ماركس" عوامل تزييف الوعي على النظم السياسية وحدها، بل يرى أن النظم الاقتصادية والدينية والأسرة تلعب جميعها دوراً مهماً في تزييف وعي المواطنين في المجتمعات الرأسمالية. وبالنسبة للنظم الاقتصادية، وجد أن هناك سبباً واحداً يصعب من خلاله اكتشاف العلاقة بين الظروف المادية والإيديولوجيات

¹ - نفس المرجع، ص 99.

² - جون بلامينتز، الإيديولوجيا، ترجمة: إسماعيل علي سعد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 25.

الثقافية. ويمكن هذا السبب في أن الإيديولوجيات الثقافية تقوم بعملية تضليل¹. لكي تسد النقص، والقصور للسائد في الظروف المادية للحياة وتكون النتيجة أنه بالرغم من أن الإيديولوجية الثقافية تعكس الظروف المادية، والعلاقات الاقتصادية الحقيقية التي يعيشها الأفراد، إلا أن هذا الانعكاس أحياناً يكون مضللاً بدرجة عالية. وتمتد الإيديولوجيات الثقافية إلى داخل وعي الأفراد، ويجدون أنفسهم عاجزين عن فهم مصالحهم الحقيقية ولذلك يفشلون في كشف الارتباط الحقيقي بين حاجاتهم واهتماماتهم وعدم الرضا والمعاناة، وتكون النتيجة انتشار الوعي للزائف. وقد زعم "ماركس" في تفسيره لدور الإيديولوجية الدينية في تزييف الوعي أن وظائف الإيديولوجية بما تقوم به من تضليل هي خير دليل أثبتته تحليلاته أن الأديان التقليدية تؤكد على السمو والنواحي غير المادية، والأمل في الحياة بعد الموت، وتحويل اهتمام الناس عن المعاناة الفيزيائية والمادية. علاوة على ذلك رأى أن مثالية الأديان التقليدية هي ضد الاهتمام بالطبيعة، على افتراض أن المعاناة هي قيمة روحانية إيجابية، إذا احتملها الناس وصبروا عليها، فالثروة المادية والمكانة العالية والقوة، ينظر إليها الوعي الديني على أنها عمليات تضليلية ووقتيّة. وكل ذلك بشكل موقفاً مهماً وخطيراً على روحانيات الإنسان وثوابه يوم القيامة. لذلك يصبح الفقر فضيلة، والغنى

¹ - للتضليل: هو إدراك زائف للواقع، وقد ميز بعض الباحثين بين نموذجين للإيديولوجيا، الأول ناتج عن ظروف خارجية غير عادية في الهدف الذي تسعى إليه، أما النوع الثاني من الإيديولوجيا فيتحدد بالوظيفة الباثولوجية والتي تضع في اعتبارها جزءاً من الوظيفة النفسية. وتعد عملية تضليل عقول البشر على حد قول "ياولونريد" أداة للقهر، وهي تمثل إحدى الأدوات التي تسمى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة.

مسؤولية روحانية وهذا أساس ما اشتهرت به مقولة "ماركس" في إشارته للدين بأنه "أفيون الشعوب" فالإيديولوجية الدينية عنده من المحتمل ألا ترضى عنها أو تتوافق معها كل الطبقات الاجتماعية¹.

إن للصراع الخفي بين الطبقات المتعارضة في المجتمع، يعطي للطبقات المسيطرة إطار عمل قادر على حماية مصالحها، علاوة على ذلك أنها في قوتها قادرة على صياغة بناء تشريعي واقتصادي، وتعبئة أصوات المواطنين، وتمارس وظيفتها في وضع السياسات للقومية التي تتعارض مع مصالح جموع المواطنين، وتقوم الدولة بخدمة المصالح الاقتصادية للطبقات الاجتماعية التي بحوزتها القوة الكافية للتحكم فيها من أجل أغراضها².

إلا أن هذا البناء التشريعي والاقتصادي يتأثر بآراء وإيديولوجية الطبقة الحاكمة التي تعمل على تزييف وعي الطبقة العاملة، وتشويه الواقع الاجتماعي المادي خدمة للطبقات المسيطرة على وسائل الإنتاج من أجل المحافظة على أوضاعها الراهنة³.

3 - الاتجاه النقدي ومحاولة تفسيره للوعي:

تؤكد مقولات الاتجاه النقدي بوجه عام على ضرورة إدراك العوامل المؤثرة في الوعي، وخاصة إدراك العلاقة القائمة بين عناصر الإيديولوجيا، بالمعنى الوظيفي الإيجابي (الأفكار) أو السلبي (الوعي للزائف) وتلك الاستراتيجيات الاقتصادية، التي تحكم الوجود الاجتماعي لمختلف الأفراد والفتات وأيضاً الطبقات الاجتماعية. إن كلاً من مفكري هذا الاتجاه حاول

¹ - طه نجم، علم اجتماع للمعرفة، مرجع سابق، ص 216

² - نفس المرجع نفس الصفحة.

³ - محمد علي محمد، أصول علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983، ص 347-348.

تحديد محتوى الوعي من منظور مختلف إلا أنهم قد أجمعوا على أن الوعي يرتبط أو بالأحرى يجب أن يتعلق في مكوناته وتحليلاته ومفرداته النهائية بالعمليات الاقتصادية والسياسية التي تسود العالم المعاصر، إن للماركسيين أنفسهم أخضعوا الوعي لسيطرة الأشياء تلك العملية التي أطلق عليها ماركس من قبل التشيؤ ويقصد بها - وكذا للماركسيين الجدد - إدراك العالم الخارجي، باعتباره مجموعة من الأشياء الموضوعية للخارجة عن نطاق تحكم وسيطرة الإنسان. وقد أكد الاتجاه الماركسي الجديد على أولوية الاقتصاد دون الثقافة إلا أنه لم يَعمُ بعزل الأخيرة بصورة نهائية.

وينقسم الوعي عند الماركسيين الجدد إلى نوعين:

أولهما: هو تلك المجموعة من الأفكار التي تعكسها أو تملئها لزمات النظام الرأسمالي، وتُهيئ بها أنماط السلوك الاقتصادي والسياسي والثقافي إلى استغلال واستقطاب الدول التي تعاني من أزمة للخيار الإيديولوجي المادي والمعنوي معاً. وثانيهما: يتمثل في تلك الأفكار التي تعكسها أليات ومظاهر التخلف الاقتصادي الكامنة في بُنى تقليدية وهذه الأفكار تنشأ بصورة دائمة بسبب علاقة غير متكافئة بين الداخل والخارج¹.

وعلى الرغم من البوادر النقدية التي طرحتها الماركسية الكلاسيكية والمحدثة، حول مسألة الوعي إلا أن معنى الوعي والبحث عن تحليل جديد قد أخذ منحني آخر، انطلاقاً من أحد المسلمات الأساسية موجزها أن للواقع المتناقض الذي يقوم على الوهم يتطلب شكلاً محدثاً من للتفكير والتحليل أيضاً بحيث تكون وظيفة، هذا الشكل الأولى هي الثورة على كل ما هو شائع من أفكار وتحليلات مغتربة للوعي الاجتماعي، وقد تبلور ذلك في كتابات

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 122.

"هربرت ماركيزوز" خاصة كتابه المعنون "العقل والثورة" حين تساعل حول مصداقية التناقض الحاصل في البناء الفكري للنقدي، مع أشكال الفكر التي تدعم هذا الواقع ولا تسعى إلى تغييره، في إشارة واضحة للاتجاهات المحافظة بوجه عام، أما التناقض ذاته من وجهة نظر هذا الواقع المتخبط، وأن يعمل على تغييره، وهذا القول هو ما أدى إلى تصنيف "هربرت ماركيزوز" بأنه أبرزهم على الإطلاق¹.

هربرت ماركيزوز: يرى أن المجتمع ذو البعد الواحد يمارس تزييف وعي أفراد من خلال استبدال الرقابة الخارجية المفروضة بنوع من الرقابة الداخلية المستبطنة، وأن المجتمع الصناعي لم يزيّف حاجات الإنسان المادية فحسب، بل زيف أيضاً حاجاته الفكرية، حيث يمثل الفكر العدو للحدود لمجتمع السيطرة لأنه يمثل قوة للعقل للنقدية. ويعتقد "ماركيزوز" أن وسائل تزييف للوعي في المجتمعات الصناعية المتقدمة قد تعاضمت خطرها في العصر الحديث، وذلك بفعل التكنولوجيا، حيث لعبت الآلة دوراً سياسياً بارزاً في هذه المجتمعات. فبعد أن كان مطلب الطبقات الكادحة هو السعي نحو التغيير ورفض النظام، أصبح مطلبها الأساسي، هو تسيير المشاريع، لا تغيير النظام².

وقد وقف "ماركيزوز" من الفلسفة الوضعية موقفاً نقدياً يتسم بالصراحة والوجود، يتمثل في اهتمامه بتغيير المجتمع من خلال الرفض أو السلب باعتباره الطريق للملائم لإحداث تغييرات مهمة سواء على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع، فالأول يتلخص في رفض الأفكار السائدة والمقولات

¹ - نفس المرجع، ص 135.

² - هربرت ماركيزوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ب.ت.ن، ص 12، 14.

التي يتم الترويج لها وحتمية البحث عن مقولات بديلة تكون أكثر اقتراباً من الواقع الفعلي، أما المستوى الثاني (الواقع) فيأتي ذلك من وجهة نظره " عن طريق وجود خيارات بديلة للسلوك الفردي، بحيث تؤدي إلى تحطيم كل مظاهر القهر القائمة على الأفراد. ومن الناحية المنهجية، اتخذ "ماركيوز" للتفسير البنائي لمقولة الرفض، فقد وجه انتقاداته لكافة النظم المعاصرة، سواء في صورتها الرأسمالية القائمة في الغرب، أو في صورتها الاشتراكية التي تطبق في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ودول أوروبا الشرقية (قبل التحولات) فكلاهما نظامان يتسمان بالقمع على حد قوله. ويمكن القول إن "ماركيوز" حاول من خلال هذا الرفض إيجاد بدائل أساسية تؤدي بالإنسان المعاصر إلى ممارسة حقيقية للحرية خاصة وأن الذهن والعقل والوعي والفكر، تعد بمثابة مسائل مفروضة في أشكال الثقافة التقليدية وممارساتها تجاه الجماعات القائمة¹.

ويرى "ماركيوز" أن الإنسان يكتسب من خلال الخيال خواص الانتباه والذاكرة والتنظيم، ويصبح ذاتاً واعية مفكرة مرتبطة بالعقلانية المفروضة عليها من الخارج². ويؤكد على ذاتية الوعي حيث يظهر ذلك من خلال اهتمامه بالسلوك الفردي وكذا الحرية الجوهرية للإنسان، ويتمثل ذلك في القول بأن الحرية الجوهرية للإنسان، بها تكمن مجالات النفي والتناقص مع النظام القائم والاحتجاج والتفكك والنقد.

تشارلز رايت ميلز: ظهر معنى الوعي بصورة نقدية في تحليلاته عن العلاقة المتداخلة بين الإنسان والمجتمع والتاريخ وما يؤثر به على مكونات الوعي، إلى جانب ما أوضحته دراسته عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيري وقادة

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 137 .

² - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 96.

الرأي على مجموعة الإدراكات التي تختزنها، من حيث الشكل والمضمون، وكذا المعلومات الشائعة (والمتغيرة بطبيعتها من وقت لآخر)، وإن كانت هذه المقولات وغيرها تعد أقرب إلى التحليل الماركسي، إلا أنه قد أكد على أهمية النقد عندما أوضح في ثانيا فكرة الخيال للسوسيولوجي أن غياب الإحساس الأصيل بالمشكلات الواقعية الحقيقية يؤدي إلى أن نقرأ في الواقع¹.

وقد درس 'رايت ميلز' "أصحاب اللياقات البيضاء"، وقصد من دراسته إبراز الدور الذي يقوم به الوعي الزائف في إعفاء الأفراد عن إدراك الواقع الذي يعيشون فيه. وقد أدان المؤسسات الدينية في الولايات المتحدة بسبب مشاركتها في تكوين وعي مزيف عن العالم والذات على حد سواء ويؤكد فكرة الوعي المزيف من خلال مناقشته لقضية الاغتراب في المجتمع الأمريكي، ويذهب إلى القول إن الناس في هذا المجتمع اغتربوا عن صميم الحياة الإنسانية، وأصبحوا أسرى الخداع الفكري الذي تمارسه وسائل الإعلام والاستغلال الاقتصادي الذي تفرضه الأسواق، ويرى أن الناس لا يحتاجون فقط إلى المعلومات في عصر الحقيقة الذي تسيطر فيه المعلومات على انتباه الناس وتركيزهم، وتشل قدرتهم على تمثيل هذه المعلومات واستيعابها، بل إن الذي يحتاجه الناس ويشعرون به بالفعل هو نوعية من العقل والتفكير تساعد على استخدام المعلومات وتطوير التفسير والاستنباط كي يتمكنوا من فهم واستيعاب كل ما يدور حولهم في العالم الخارجي².

ولا شك أن خيال "ميلز" السوسيولوجي يعد في كليته ومحتوياته

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 138.

² - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 97.

الأساسية تعريفاً لمسألة الوعي ورصد المستويات للمتداخلة، بالإضافة إلى المصادر الرئيسة التي تتحكم في ترتيباته ومضامينه بوجه عام، فعلى الرغم من تلك المقاربات النظرية مع مقولات "كارل ماركس" عن الوعي الزائف، و"سيجموند فرويد" عن اللاوعي، سواء في أن الأساس الاقتصادي يطلب دوراً محورياً في بناء الوعي من حيث المضمون أو في التركيب السيكولوجي الفردي كما يبدو ذلك في مسألة الاغتراب، فإن "ميلز" لم ينكر تماماً التأثير الذي يقوم به السلوك الفردي على البناء الاجتماعي، عن طريق ما يتوافر لدى الذات من أفكار تملي سلوكاً ما إلى جانب توضيحه لأثر البناء الاجتماعي التاريخي على عناصر الوعي الأساسية بمعنى آخر أن "رايت ميلز" قد أوضح أن الوعي نتاج مركب ساهمت فيه مختلف العلاقات التاريخية، وأن هناك علاقة جنلية ومباشرة بين الجملة العصبية للفرد والممارسات الاجتماعية، ذات السمات التي تتصل بالبناء الاجتماعي¹.

ويقول حول تزييف الوعي: "إن الوعي المزيف قادر على تحطيم

الوجود الإنساني، وإفراز أفراد يبيعون يوماً قطعاً من أنفسهم، مقابل نقود زهيدة ينفقونها على لهو يخلو من الإنسانية"².

انطونيو غرامشي: جاءت آراءه لتؤكد على قضايا محورية توضح مقولة الوعي المزدوج. وأول هذه للقضايا تتلخص في مفهوم السيطرة، التي تؤدي إلى عدم وجود الوعي الثوري، ويظهر ذلك عن طريق مقولاته لمفهوم السيطرة، ومفهوم الحزب، وربطهما بشروط بلورة الوعي الثوري، ولا تعني السيطرة في فكر "غرامشي" المعنى السياسي فقط، بل تمتد هذه السيطرة إلى

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 138.

² - مله نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 113 .

الدلالات السوسولوجية بوجه عام، باعتبارها إحدى الكتل الاجتماعية على مر التاريخ والتي تشمل أيضاً في فكر "غرامشي" دكتاتورية البروليتاريا. ويؤكد في هذا المجال الدور الملبي الذي يمارسه القانون في عملية تزييف الوعي، بما يفرزه من سيطرة ثقافية، وإضفاء سمات خاصة بالطبقة المسيطرة، وشروطها الأولية كالوعي والكاريزما والأعراف لدخل المجتمع. وثاني هذه القضايا يوضحها "غرامشي" في دور المثقفين في تحقيق السيطرة الفكرية لدى العامة. وقد أكد على أن كل مثقف ينتمي إلى طبقة ما أو جماعة اجتماعية ما، مؤكداً في هذا المجال فكرة الالتزام وضرورتها بالقضايا المحورية القائمة في مجتمع ما¹.

وانتقد "غرامشي" للوضع الخاصة بالمثقفين ولبتعادهم عن التأثير الاجتماعي كنتيجة للعلاقة القائمة بين المثقف والسلطة، مع إضفاء صفة التمييز بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي، تلك العلاقة أدت من وجهة نظره إلى بلورة وعي مزدوج لدى الجماعات الاجتماعية، حيث يتأرجح الوعي هنا بين إيديولوجية السيطرة التي تمثلها الطبقة الحاكمة والإيديولوجيا العمالية، التي تقرضها مفردات الحياة اليومية في المجتمعات المعاصرة، فهذه الازدواجية تدفع بالوعي نحو الانقسام والتفتت².

وقد ميز بين عضوية الأفراد الذين ينتمون إلى حركات اجتماعية وبين أفراد يتخللون داخل الحركات مصادفة. فالأفراد في المجموعة الأولى يعلنون صراحة عن التلقضات الموجودة في المجتمع، ويعلنون تحديهم للبناء الفوقي القائم. أما في المجموعة الثانية، فهم عادة أفراد منطوعون يعملون على قيادة

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 139-140.

² - نفس المرجع، ص 140.

المجتمع وتقديم النصح، وعادة ما يكون تأثيرهم قائماً على أسس اقتصادي أو إيديولوجي. وتحت هذه للمبادئ العلمية حقل "غرامشي" ديالكتيكية البناء التحتي والبناء الفوقي. ومن خلال هذا الأساس تقوم للعلاقات الاجتماعية للإنتاج بالاعتماد على الجماعات السياسية والتنظيمية، مع الأخذ في الاعتبار الدرجات المختلفة من التجانس والتنظيم، والوعي السياسي¹.

ويرى "غرامشي" أن الطبقة العاملة يجب أن تهتم بوعياها الطبقي ومنظمتها المستقلة، وإذا أرادت أن تصبح الطبقة الجديدة للسيطرة، فينبغي عليها أن تنمي وعيها، ويأتي ذلك من خلال ممارسة عمليات التنظيم السياسي، والاتحادات العمالية، والاتحادات للتجارية والأحزاب السياسية. وتجاهل فكرة "الوعي الزائف" التي نادى بها كلاسيكيو الماركسية، ويرى بأن سيطرة جماعة اجتماعية على جماعات أخرى معارضة تعبر عن نفسها في شكلين، إما من خلال القسر السياتي، أو على شكل قيادة إيديولوجية، ويذهب إلى القول بأن للطبقات الخاضعة "وعياً ثنائياً"² يضم عناصر مفروضة عليها من إيديولوجيا الطبقة البرجوازية المهيمنة، غالباً ما يتم التعبير عنها بصورة لفظية، ووعي آخر يرتبط بالنشاطات اليومية، أو الوضع الاقتصادي الفعلي الذي يعيشه أعضاء هذه الطبقات³.

هوركهاليمر: يؤكد على أن الوعي الإنساني في عموميته وفرديته، إنما هو

¹ - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 91 .

² - عرف غرامشي وزملاؤه للوعي المزدوج في قاموس علم الاجتماع بأنه يقال: إن الناس يظهرون بوعي مزدوج عندما يظهرون في مجموعتين متناقضتين، وبمعتقدات واحدة.

³ - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 106-175.

نتاج لنشاط بشري يتسم بالتواصل والاستمرارية¹.

وقد أبرز "هوركهايمر" ثنائية الفكر والواقع في بنية الوعي سواء في مستوياته الذاتية للفردية أو الجماعية والبنائية ويتضح هذا الأمر من خلال أن تحليل أية بنية اجتماعية، لا بد وأن يتأتى من فهم عميق للتناقضات القائمة بين الفكر والواقع، ولا يجب اختزالها بأي حال من الأحوال في إطار نسق فكري تعسفي لأن معنى الوعي كإشكالية بحثية، يتسم بمستويات متداخلة، لا بد أن يتضمن منهجياً تحرير المعرفة والإنسان من تأثير القوالب النظرية الجامدة بما تحدثه من جمود على الطبيعة الإنسانية وتعيقها عن القيام بدورها، فهنا تظهر إسهامات "هوركهايمر" النظرية في ضرورة وجود قدر كبير من المرونة والدينامية وأيضاً المنهجية في أهمية التحليل الموضوعي لمسألة الوعي ذاتها².

يورغن هابيرماس: تقوم توجهاته بصدد قضية الوعي الطبقي على افتراضين أساسيين يذهب الأول إلى أن منظمات المجتمع الطبقي تعد ضرورية، لأن أساسها يقوم على الاهتمامات غير العمومية، يفهم من ذلك أنها تخدم مصالح بعض الأقليات ذات الوضع الاستراتيجي في البناء الاجتماعي، ويوضح ذلك للتوزيع غير المتكافئ للقوة والملكية في المجتمع. أما الافتراض الثاني، فيرى أن بعض الحضرين ذوي المكانة المهمة في البناء الاجتماعي سوف يكون بإمكانهم تحقيق هذا الوضع بدون الأقليات³.

ويؤكد "هابيرماس" على أهمية البحث في الوعي الاجتماعي باعتباره

¹ - السيد الصيلي، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 135-142.

² - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 141.

³ - طه نجم، علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 106-107.

أحد العناصر الذاتية التي ترتبط عادة بالمصلحة الخاصة، بقول آخر إن مقولة الموقع تلعب دوراً مهماً في الفهم والتحليل الذاتي للواقع المعاش، كما أن اكتشاف الوعي ومضامينه يعد شرطاً أساسياً للتحرر من كافة المصالح ذات المضمون التكنولوجي التي تعتمد عليها المعرفة وأنماطها في المجتمع الرأسمالي، إلا أن هذا الاكتشاف (الوعي) ذاته يمكن الوصول إليه من خلال التفاعل القائم بين التحليل والمعرفة العلمية، أي لفكر من ناحية والعمل والممارسة من ناحية أخرى، وهو ما يعني الواقع¹.

يورك فروم: تمثل دراساته إحدى الدعائم الفكرية الأساسية لمدرسة فرانكفورت، فقد حلل تطور الشخصية في المجتمع الحديث موضعاً التأثيرات المختلفة التي أحدثتها النزعة للسياسية التسلطية - كما تبدو في الفاشية - على الإنسان. ويرى "فروم" أن الظروف الاجتماعية تؤثر في الظواهر الإيديولوجية من خلال الطابع الاجتماعي².

جورج لوكاش: لقد تحدث عن الوعي الطبقي عند العمال، حيث أثبت أن درجة وعي العامل هي نوع من مظاهر حاجة العمل، وفي هذه الحاجة يستطيع العامل أن يتعرف على نفسه، وعلى رأس المال المسيطر عليه، وتأتي هذه للمعرفة من خلال وعيه الذاتي بالحاجات، ولذلك فإن جوهر المجتمع الرأسمالي يبدأ بالتعرف على الذات، كما يرى "لوكاش" أن الوظيفة الوحيدة لوعي البروليتاريا الطبقي تتحدد بالتضاد مع وظيفته لطبقات أخرى، ويرجع ذلك إلى أن البروليتاريا، لا تستطيع أن تتحرر كطبقة إلا بتلاشي مجتمع الطبقات عامة ويجب أن يتواءم هذا الوعي مع الكشف عن جوهر

¹ - شكري عبد المجيد صابر، مرجع سابق، ص 142.

² - السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 231.

المجتمع، وأن يصبح وحدة متطابقة دائماً بين النظرية والتطبيق. وبقدر ما هو بسيط الترابط بين الوعي الطبقي والوضع الطبقي بالنسبة للبروليتاريا - من حيث جوهر الأشياء - بقدر ما هي كبيرة الحولجز التي تقف أمام تحقيق هذا الوعي في الواقع، ويرجع ذلك إلى غياب الوحدة في الوعي ذاته¹.

وفي مقارنة له عن الوعي الطبقي لدى البروليتاريا، والوعي الطبقي لدى البرجوازية، يرى "لوكاش" أن الوعي الطبقي لدى الأولى أكثر واقعية من نظيره لدى الثانية لأن الأول يدرك معنى التاريخ، في حين يظل الثاني محدوداً بالتصاقه بالبناء القائم، ويصبح الوعي الطبقي السلاح الرئيسي للطبقة وليس في الإمكان الخروج من أزمة للرأسمالية إلا عن طريق الوعي الطبقي البروليتاري، وهكذا فإن البروليتاريا بفضل وعيها الطبقي هي للقارة وحدها على إدراك معنى المصير التاريخي، فبدلاً من أن تسمو بالتاريخ وتذكره، فإنها تتخطاه، بمعنى أنها تصنع التاريخ بإعادتها صنع البشرية².

ويرى "جورج لوكاش" أن طبقة البروليتاريا هي ضحية للوعي الزائف الذي تمارسه عليها الطبقة البرجوازية. ويبين أن سيطرة البرجوازية تمتد فعلياً على كل المجتمع، وتهدف لتنظيم المجتمع بكامله طبقاً لمصالحها، لكن سيطرة البرجوازية هي سيطرة أقلية، ولأن هذه السيطرة تمارسها أقلية، ولمصلحة أقلية، فالشرط المصيري لإبقاء نظام البرجوازية هو أن تبقى الطبقات الأخرى في وعي زائف.

¹ - جورج لوكاش، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا للشاعر، دار الأندلس، بيروت، 1971، ص 69.

² - جورج جورفنتش، دراسات في الطبقات الاجتماعية، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية للعلماء للكتاب، القاهرة، 1972، ص 95-96.

الختمة

يستند الاتجاه الوظيفي كما رأينا على ذاتية الوعي باعتباره مجموعة من الصور تسمى أفكاراً، فالرمز كلمة إلا أن مدلولها الموسيولوجي تتم صياغته من خلال المجتمع بثقافته الكلية. فقد ركز الوظيفيون على الوعي الفردي متأثرين في ذلك بتحليلات ذات طابع ميكولوجي إلى حد كبير. فالوعي هنا يعد عملية ذاتية عقلية بحتة يتم اكتسابها من جانب الفرد عن طريق عمليات التفاعل والمشاركة والتساند للوظيفي بين الأنساق المختلفة والمتداخلة في نفس الوقت.

أما الاتجاه الماركسي (الكلاسيكي والمحدث) فإنه يؤكد على ضرورة إطلاق قدرة الفرد على تغيير واقعه الاجتماعي، والتحول نحو المساواة والعدالة، وانتفاء هيمنة الدولة، عن طريق سيطرة المجتمع ذاته بدلاً منها، إلا أن الماركسية تشترط في ذلك ضرورة الالتحاق بطبقة، بالمعنى الكلاسيكي والتحول نحو التكتلات بالمعنى المحدث، فكلاهما يؤدي إلى تشكيل وعي اجتماعي، بدلاً من الوعي الفردي الذي يؤدي إلى ممارسة، أنواع محددة ومتنوعة من الاستغلال أو قبولها، باعتباره (زيفاً) إنه وعي حقيقي.

يتضح مما تقدم أن الوعي الاجتماعي ليس رهنأ بعامل واحد بل نتاج نهائي للعديد من العوامل المكونة للوجود الاجتماعي بدءاً من الدين وانتهاء بطبيعة النظام الاقتصادي السائد، وقد أوضحت المناقشات السابقة فردية وجماعية وطبقية الوعي، مما ساهم في الاتفاق حول مستويات الوعي من جهة، وأشكاله الأساسية والثانوية من جهة أخرى.

المراجع المعتمدة

الدسوقي عبده إبراهيم، للتغير الاجتماعي والوعي الطبقي (تحليل نظري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.

- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، دار للمعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.ن.
- طه نجم، علم اجتماع للمعرفة (دراسة في مقولة الوعي والايديولوجيا)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.
- شكري عبد المجيد صابر، وموسى عبد الرحيم حلس، الوعي الاجتماعي العربي والفلسطيني (تحليل سوسيولوجي في ضوء مفاهيم وقضايا علم اجتماع للمعرفة)، مكتبة ومطبعة دار المنارة، غزة، 2003.
- علي ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983.
- عبد الرحمن خليفة، إيديولوجية للصراع السياسي: دراسة في نظرية القوة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
- جون بلاميناتز، الإيديولوجيا، ترجمة: إسماعيل علي سعد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
- محمد علي محمد، أصول علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983.
- هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ب.ت.ن.
- السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار للنهضة العربية، بيروت، 1985.
- جورج لوكانش، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا الشاعر، دار الأندلس، بيروت، 1971.
- جورج جورفتش، دراسات في الطبقات الاجتماعية، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972.